

تضاريس البادية السورية ومناخها والفيضات المتشكلة فيها:

تكتسب سورية تكوينها المميز من خلال سلسلة جبال لبنان الموازية للشاطئ، بامتداداتها الشمالية الجنوبية. تفصل لبنان عن داخل البلاد سلاسل لبنان الشرقية والحرمون. وتتوغل في الجنوب الشرقي براكين حوران الخامة بعمق داخل السهب، بينما يفتح الشمال الشرقي على الأراضي الواقعة وراءه، المندغمة في الصحراء العربية الشمالية، التي لا تفصلها عنها حدود طبيعية.

تتبسط سهول خصبة بين السفوح الشرقية للجبال الساحلية والسهب، وتبلغ أقصى اتساع لها عند حلب، فهي تصل هنا الى الفرات، وتتخطى في الشمال نهر الساجور، الذي يشكل خط الفصل بين الشعب العربي والكردي/ التركي، بينما تنتهي في الجنوب عند بحيرة ملح (الجبول)، وجبل الحص ومنخفض المطخ المستنقي. وراء المطخ يبرز العلا وهو هضبة بركانية تغطيها بقايا أثرية من العصر القديم، وتقع عند أقدامها بلدة سلمية ذات الأهمية الفائقة في تاريخ البدو. هنا يبدأ سهل حماه / حمص، الذي يصل شرقاً إلى مرتفعات الشمرية والبلعاس وجنوباً إلى سفوح جبال لبنان الشرقية.

التسمية القديمة لبادية الشام حسب ياقوت الحموي (السماوة) أي الأرض المستوية التي لا توجد فيها حجارة، وحدودها من جنوب الأردن في انحاء مدينة معان الأردنية وجبال الشراة وجبال مؤاب وجبال عجلون، وتسير مع سكة الحديد الحجازية الممتدة على سيف البادية وصولاً لمحطة المفرك، ثم تتعطف نحو شرق جبل حوران في سورية باتجاه وعر اللجاة، ثم شرق الضمير والقريتين والفرقلس والجبال الشومرية وعقيربات، وصولاً إلى بالس وشمس الدين على نهر الفرات.

أولاً: تضاريس بادية الشام:

تبلغ مساحة القطر العربي السوري 185,180 ألف كم² وتشغل البادية السورية حوالي 55% من هذه المساحة التي تبدأ من شرق الأردن في مدينة معان وجبل مؤاب وعجلون باتجاه شرق حوران واللجاة، ثم شرقاً باتجاه مناطق الضمير والقريتين والفرقلس وجبال الشومرية وعقيربات باتجاه الاندرين وبالس وشمس الدين نحو نهر الفرات. والبادية السورية متداخلة مع بادية أوسع تسمى (بادية الشام) والتي تشمل على 3 وحدات تضاريسية في لبنان والأردن وسورية.

- الهضبة اللبنانية: تتصف تضاريسها بالانسياب وتموجات سطحية تتخللها أودية ومنخفضات ضحلة، فضلاً عن تضاريس بركانية كما في منطقتي الحرات والصبات والمرتفعات البركانية.
- وفي سورية يحتل الحماد المساحة الأوسع من بادية الشام الذي يمتد من شمال شرق الأردن وجنوب سورية بسطح مستوي غني بالحجارة الكلسية والصوانية والبازلتية، وتكثر في هذه المنطقة التلال البركانية (تل جبل عاقر - وتل دكوة) وكذلك توجد الصبات الاندفاعية كصبة الصفا والزلف والحرث.
- وفي الشمال والشمال الشرقي من الحماد يمتد منخفض يسمى وادي الفرات ويعرف بالفيضانات، وكذلك يحتوي على الوديان.
- أما الكتل الجبلية تمتد حوالي 360 كم على محور غربي ومحور شمالي شرقي تتكون من الجبال الوسطى بين حمص وحماة غرباً ووادي الفرات شرقاً وهي جبال التوائية قليلة الارتفاع، والجبال التدمرية التي تمتد من الجبال الشومرية (1072 م) والبلعاس (1105 م) والشفا (904 م) ثم جبل الشاعر (1262 م) وجبل أبو رجمين (1387 م) وتنتهي شرقاً بجبل البشري (865 م) وتتخلل الجبال ممرات مثل ممر الكوم - الطيبة - القدير. في حين أن الجبال التدمرية نفسها فهي ضيقة والتوائية بارتفاعات حوالي 240 م.

ثانياً: المناخ:

وحسب الهطول المطري فقد قسم القطر العربي السوري إلى خمسة مناطق استقرار وهي:

- 1- منطقة الاستقرار الزراعي الأولى: والهطول المطري بمعدل سنوي 350 ملم، وتقسّم الى قسمين: الأولى يبلغ المعدل السنوي فيها فوق 600 ملم، والثانية بين 300 - 600 ملم، وتحتل نسبة 14.6 % من مساحة القطر.
- 2- منطقة الاستقرار الزراعي الثانية: معدل الهطول المطري السنوي فيها بين 250 - 350 ملم وتشكل حوالي 3,13 % من مساحة القطر.
- 3- منطقة الاستقرار الزراعي الثالثة: ومعدل الهطول المطري السنوي فيها بحدود 250 ملم وما يزيد قليلاً عن ذلك، وتشكل حوالي 7,1 % من مساحة القطر.
- 4- منطقة الاستقرار الزراعي الرابعة: وتسمى بالهامشية، إذا يكون المعدل المطري السنوي فيها بين 200 - 250 ملم، وتشكل حوالي 10 % من مساحة القطر.

5- منطقة الاستقرار الزراعي الخامسة: وتشكل البادية وسهوبها وهي غير صالحة للزراعة وتشكل حوالي 55 % من مساحة القطر.

وقد أدى سوء إدارة البادية إلى التعدي على الموارد الطبيعية، والتدهور الحاد في الغطاء النباتي، ونوعية التربة التي هي بالأصل سطحية ضحلة أو صخرية. وتتسم تضاريس البادية بالبساطة الطبيعية والجفاف الماخي وارتفاع في درجات الحرارة . فضلاً عن تعرض البادية إلى موجات من الصقيع. والعواصف الرملية التي تضر بالغطاء النباتي، وتشكل خطورة على سكان البادية، وكذلك تعاني البادية من شح المياه وتدهور الأراضي الرعوية.

وبرامج تنمية البادية أخذت بعين الاعتبار الحفاظ على إنتاجية المراعي، وخلق ظروف مناسبة للتكيف مع تغيرات المناخ، ومحاولة ادخال نباتات محلية، وتثبيت التربة ومنع تحرك الكثبان الرملية باتجاه الغطاء النباتي الرعوي، وحفظ سلالات من الماشية المتكيفة مع الجفاف.

ثالثاً: الفيضات وخصائصها:

تُشكل الفيضات في المنخفضات المفتوحة التي تنساب إليها مياه الأمطار والسيول من المناطق المجاورة لها، وتعتبر نظاماً بيئياً متميزاً من حيث التربة الخصبة، ومحتوى الرطوبة، والمواد العضوية المنقولة إليها، وبالتالي تشكل غطاءً نباتياً من خلال نمو النباتات الرعوية الطبيعية.

1- أهمية الفيضات: انتاج كميات عالية من المادة العلفية لحيوانات البادية، كما تتميز بتنوعها الحيوي (نباتات - طيور - حيوانات برية - وغيرها)، كما تعتبر مخزن هام للبذور النباتية، ومصدراً لاستنباط أنواع نباتية ملائمة لمناخ البادية يمكن بواسطتها إعادة تأهيل البادية.

2- أسباب تدهور الفيضات:

- الفلاحات المتكررة بهدف زراعة المحاصيل.
 - الرعي الجائر، والرعي المبكر.
 - الاحتطاب للشجيرات المعمرة.
 - غياب التنظيم الزراعي، وعدم الضبط القانوني لعملية استخدام الفيضات.
- 3- عملية تأهيل الفيضات:** يمكن إعادة تأهيل الفيضات في المناطق الأكثر جفافاً وفق الآتي:

- زراعة شتول رعوية مع إيجاد مساحات مجاورة لها لفسح المجال للتجدد النباتي الطبيعي، ومساحات أخرى يتم فيها تحريك التربة بشكل بسيط يساعد على انبات النبات.
- إذا كان معدل الهطول المطري السنوي في بعض المناطق أكثر من 200 ملم تكون الفلاحة في هذه المناطق ممكنة وبالتالي يمكن زراعة محاصيل علفية كالشعير، والفصة الحولية، إلى جانب ذلك يمكن زراعة شجيرات معمرة مناسبة لرعي الحيوانات.
- إشراك المجتمع المحلي في عملية تأهيل الفيضات وحمايتها من التدهور عبر عملية إرشاد زراعي واستخدام تقنيات لتربية الحيوانات، وتقديم المساعدات الغذائية لتمكينهم من العمل بجد واهتمام ووعي وتوفير الاستقرار المعنوي لهم.

4- المخرجات التنموية نتيجة عملية تأهيل الفيضات:

- عودة ظهور بعض الأنواع النباتية المفقودة بسبب التدهور.
- التخفيف من عملية الانجراف المائي والريحي للتربة.
- تراجع نمو النباتات الغازية والشوكية السامة.
- عودة التوازن البيئي والحيوي والتحسين في صحة الحيوان.
- زيادة كميات العلف الحيواني، وارتفاع المردود المالي للسكان.
- تأمين الاستقرار الاجتماعي والتخفيف من التنقل والترحال لمجتمعات البادية.

_____ انتهت المحاضرة _____